﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه:٧٨]، أي: شيء عظيم.

وقوله: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ أي: أن بصر الرسول صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم (ما زاغ)، أي: ما زلَّ، (وما طغى)، أي: اعتدى، فلم ينظر إلى ما لم يُؤْذَن له في نظره، وهذا من كمال أدبه عليه الصلاة والسلام.

ثم قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ الكبرى، قيل: إنها مفعولٌ به لـ(رأى)، **والصحيح**: أنها صفة لـ(آيات)، أي: رأى من الآيات الكبرى.

والفرق بين القولين، أننا إذا قلنا: إن الكبرى مفعول ثانٍ، صار المعنى: لقد رأى الكبرى من آيات ربه، وإذا قلنا: إن الكبرى صفة لآيات، صار معناها: رأى من الآيات الكبرى، ولكن ليست هي أكبر كل شيء.

**والحاصل**: أنَّ الذي دنا فتدلَّى، وأن الذي رآه النبي عليه الصلاة والسلام هو جبريل عليه الصلاة والسلام، **هذا هو القول الراجح المتعيِّن**، وإن كان بعض العلماء رحمهم الله يرى أن الله تعالى هو الذي دنا، وتدلَّى وقرب من الرسول صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، وأن الرسول رآه، **لكنه قول ضعيف لا يُسعفه السياق**، ولا تُسعفه الأحاديث الثابتة عن النبي عليه الصلاة والسلام، ففي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سأل النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم: هل رأيت ربك؟ فقال: «رَأَيْتُ نُورًا»، وفي لفظ قال: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»[1]؛ لأن الله عزَّ وجلَّ -مع أنه نور سبحانه وتعالى- محتجب بحُجُب من الأنوار عظيمة، فهو سبحانه وتعالى لا يُرى، ولا يتمكن أحد أن يَرَاه في الدنيا أبدًا في اليقظة، لكن في المنام ربما يراه، كما رآه النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم.

---

(١) سيأتي شرح الحديث برقم (١٧٨).

وقوله: «لَهُ سِتُّ مِئَةِ جَنَاحٍ»؛ لأن الله تعالى قال: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ﴾ [فاطر:١]، هذه الأجنحة يطيرون بها بسرعة عظيمة جدًّا، ولهذا يصعَدون إلى السماء بروح العبد إلى السماء السابعة، حتى تصل إلى الله عزَّ وجلَّ -إذا كان مؤمنًا- وأسأل الله أن يجعلني وإياكم منهم، ثم ترجع قبل أن يدفن الإنسان وتتَّصل ببدنه، فسرعتهم عظيمة.

ويدلُّك على سُرعة الملائكة -وأنَّهم أسرع مِن الجن- أنَّ العفريت من الجِن قال لسليمان عليه الصلاة والسلام لَمَّا قال: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ [النمل:٣٩]، وكان عليه الصلاة والسلام قد قرَّر أوقاته: يقوم في الساعة الفلانية، ويأتي في الساعة الفلانية، وقد عرف مَتى يقوم من مقامه، قال: ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ أي: قبل أن يرجع الطرف، فإذا هو عنده، فهذا عرش نقل من اليمن إلى الشام؛ قال تعالى ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ [النمل: ٤٠].

وهنا يتساءل النحويون، يقولون: كيف أبرز المتعلق -متعلق الجار والمجرور- مع أنه عام، ومعروف أن الجار والمجرور إذا كان متعلقه عامًّا فلا يجوز إبرازه، ولكن نقول: الاستقرار هنا استقرار خاص، ليس الاستقرار العام، ليس الذي يقال فيه: زيد في البيت، أي: مستقر في البيت؛ بل هذا استقرار خاص؛ لأن عادة الأشياء الثقيلة إذا أُتي بها، ثم أنزلت تحتاج إلى مدة لتستقر، لكن هذا من حين ما ارتد إليه الطرف، وجده مستقرًّا في الحال.

وهذه الآيات عظيمة، وسبحان الله العظيم! مَنْ الذي جاء بهذا العرش؟

أهو الرجل الذي قال: أنا آتيك به؟ كلا، بل جاءت به الملائكة؛ لأن هذا الرجل يقال: إنه كان يعرف اسم الله الأعظم -الذي إذا دعي به أجاب- فحملته الملائكة، وجاءت به في هذه اللحظة.

فالملائكة عليهم الصلاة والسلام رسل أولو أجنحة، وجبريل له ست مئة جناح؛ وست مئة جناح كم هي بالنسبة للألف؟ ثلاثة أخماس الألف، يعني: أكثر من نصف ألف جناح لجبريل، ولهذا قال: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾، وقال: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾، ثم هذه الأجنحة سدَّ بها الأُفق، كل الأفق، وهذه من آيات الله عزَّ وجلَّ.

والإنسان إذا فكَّر في آيات الله عزَّ وجلَّ، وفي مخلوقاتِه يتعجَّب العجب العظيم، فهذه الأجسام الكبيرة -بالنسبة للملائكة عليهم الصلاة والسلام- ارجع مرة ثانية، وانظر إلى أجسام صغيرة، لا تدركها العين إلا بمشقَّة، فتمشي وتهتدي إلى ما يُعيشها.

أحيانًا إذا فتحت الكتاب، وجدت فيه حشرة صغيرة، كأنها نقطة صغيرة، تمشي، ورزقها قد أتاها في طيات هذه الكتب، وكل هذا يزداد به الإنسان إيمانًا بالله عزَّ وجلَّ.

ثم انظر في وقت تلوين النخل، نخلتان بعضهما إلى جنب بعض، هذه لونها أصفر، وتلك لونها أحمر! بأي صبغة صبغت؟ هل أحد صبغها بـ(البُوية)؟ لا، أبدًا! بل بأمر الله عزَّ وجلَّ، أصلها واحدة، تخرج من القنو بيضاء، ثم تخضر، ثم تزداد اخضرارًا على نمط واحدٍ، حتى تصل إلى هذا المنتهى، فإذا بها تتفرق صفراء وحمراء.

وبذلك نعلم بأن الله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير، وأن مدبر الكون هو الله.

فَفِـي كُـلِّ شَيْءٍ لَـهُ آيَـةٌ تَـدُلُّ عَـلَى أَنَّـهُ وَاحِـدُ[1]

* * *

(١) البيت لأبي العتاهية، ينظر: «ديوانه» (ص:١٢٢).

## باب معنى قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ وَهَلْ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ؟

١٧٥ - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ قَالَ: رَأَى جِبْرِيلَ.

١٧٦ - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا حَفْصٌ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: رَآهُ بِقَلْبِهِ.

١٧٦ - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو سَعِيدٍ الأَشَجُّ؛ جَمِيعًا عَنْ وَكِيعٍ -قَالَ الأَشَجُّ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ-؛ حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، عَنْ زِيَادِ بْنِ الْحُصَيْنِ أَبِي جَهْمَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ ، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ قَالَ: رَآهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ.

١٧٦ - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ، عَنِ الأَعْمَشِ، حَدَّثَنَا أَبُو جَهْمَةَ، بِهَذَا الإِسْنَادِ.

١٧٧ - حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ دَاوُدَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ؛ فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ! ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ؛ قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ؛ قَالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْظِرِينِي وَلَا تَعْجَلِينِي أَلَمْ يَقُلِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾؛ فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم؛ فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ لَمْ

أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْـمَرَّتَيْنِ؛ رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ». فَقَالَتْ: أَوَلَـمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾. قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ الله صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم كَتَمَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ الله فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى الله الْفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾. قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى الله الْفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

١٧٧- وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْـمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ، بِهَذَا الإِسْنَادِ نَحْوَ حَدِيثِ ابْنِ عُلَيَّةَ، وَزَادَ: قَالَتْ: وَلَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم كَاتِمًا شَيْئًا مِـمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ لَكَتَمَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْـهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾.

١٧٧- حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ: هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم رَبَّهُ؟ فَقَالَتْ: سُبْحَانَ الله! لَقَدْ قَفَّ شَعْرِي لِـمَا قُلْتَ؛ وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِقِصَّتِهِ؛ وَحَدِيثُ دَاوُدَ أَتَمُّ وَأَطْوَلُ.

١٧٧- وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ، عَنِ ابْنِ أَشْوَعَ، عَنْ عَامِرٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ قُلْتُ لِعَائِشَةَ فَأَيْنَ قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ

قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ قَالَتْ: إِنَّمَا ذَاكَ جِبْرِيلُ صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرِّجَالِ، وَإِنَّهُ أَتَاهُ فِي هَذِهِ المَرَّةِ فِي صُورَتِهِ الَّتِي هِيَ صُورَتُهُ فَسَدَّ أُفُقَ السَّمَاءِ[1].

---

[١] هذا الحديث صريح في أنه ليس المقصود بقوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ يعني: الله عزَّ وجلَّ؛ لأن أم المؤمنين عائشة سألت النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم عن ذلك، فأخبرها أنه جبريل عليه الصلاة والسلام.

وفي هذا الحديث الذي ساقه الإمام مسلم رحمه الله؛ عن داود رحمه الله، عن الشعبي رحمه الله، فيه فوائد، منها:

١- جواز الاتكاء عند النساء؛ لأن مسروقًا كان متكئًا عند عائشة، وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وتجعل بينها وبين الناس حجابًا، فلا يلزم من كونه متكئًا في حجرتها، أن يكون يراها وتراه.

٢- وفيه أيضًا قولها رضي الله عنها: «ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى الله الْفِرْيَةَ؛ قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى الله الْفِرْيَةَ»، ولا يناقض ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما السابق؛ لأن حديث ابن عباس صريح في أنه رآه بفؤاده، والرؤية بالفؤاد غير الرؤية بالعين.

ثم قال مسروق رحمه الله: «أَلَمْ يَقُلِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾؛ فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ الله صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم؛ فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ...» جاءت بصورة الحصر، يعني: ما هو إلا جبريل، «لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ؛ رَأَيْتُهُ

مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ» ثم قالت: أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾؛ فاستدلَّت على نفي رؤية النبي صلَّى الله عليه وسلَّم لله بهذه الآية.

ولكن هذا الاستدلال فيه نظر؛ لأن الآية ليس فيها نفي الرُّؤية، وإنما الذي فيها نفي الإدراك، والإدراك أخص مِن مطلق الرؤية، ولهذا نقول: إن هذه الآية تدل على ثبوت الرؤية، لا على انتفائها؛ لأنه لو كان الأعم منتفيًا، لكان ينبغي أن يُنفى، فكأنه قال: تراه الأبصار ولا تدركه، ولو كان المراد نفي رؤية الأبصار له، لقال: لا تراه الأبصار، وهو يرى الأبصار.

فالآية -في الحقيقة- دليل على ثبوت رؤية الله تعالى، ولكن متى يكون ذلك؟ يكون بعد الموت، ولهذا جاء في حديث الدجال، قال النبي عليه الصلاة والسلام: «وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا»[1]، وهذا عامٌّ.

وعلى هذا نقول: استدلال عائشة رضي الله عنها بهذه الآية فيه نظر؛ لأنه الآية لا تدل على انتفاء الرؤية.

وقولها رضي الله عنها: «أولم تسمع أن الله يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾».

ومن المعلوم أن الله تعالى كلَّم رسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم ليلة المعراج في الصلوات وفرضها، ولا يمكن أن يكلمه إلا من وراء حجاب، وإذا كان من وراء حجاب، فإنه لن يراه.

---

(١) أخرجه ابن ماجه: كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم...، رقم (٤٠٧٧).

وهذا الاستدلال واضح، أن النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم لم يَرَ ربه حين كان يكلمه ليلة المعراج.

**فإذا قال قائل**: الآية ليس فيها نص على تعيين الرسول صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾.

**الجواب**: أن كلمة (بشر) نكرة في سياق النفي، فتعم كل البشر، ورسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم لا شك أنه من البشر، وقد أُمِرَ أن يقول: إنما أنا بشر مثلكم، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾.

ثم قالت رضي الله عنها: «وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ الله صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم كَتَمَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ الله فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى الله الْفِرْيَةَ» صدقت، ولكن كيف يقال: إنه أعظم الفرية على الله تعالى، ولا يقال: إنه أعظم الفرية على الرسول صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم؟.

**والجواب**: أن الله عزَّ وجلَّ قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ فالتزم الله عزَّ وجلَّ ببيانه، وأن لا يضيع منه شيء، فمَن زعم أنَّ محمدًا صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم كتَم شيئًا مما أنزل الله فقد أعظم على الله عز وجل الفرية.

ثم استدلَّتْ بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة:٦٧].

**فإذا قال قائل**: إن قوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾، أي: وإن لم تبلغ ما أنزل إليك فما بلغت رسالته، إذا قال قائل: هذا شبه تحصيل حاصل، بلغ ما أنزل إليك فإن لم تفعل فما بلغت؟! فهذا كقول القائل: السماء فوقنا، والأرض تحتنا.

فالجواب على هذا: أن قوله تعالى: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ﴾، فـ(ما) هذه للعموم، يعني: كل ما أُنزل إليك من ربك، فإن لم تبلغ كل ما أنزل، بأن بلغت البعض، فإنك لم تبلغ؛ لأنه إذا بلغ البعض، فإنه ليس مبلغًا، إذ لابدَّ أن يبلغ الجميع، وذلك لأن الدِّين لا يتبعض، فمن كتم شيئًا منه؛ فقد كتمه جميعًا، ومَن كفَر بشيء منه، فقد كفَر بجميعه، فلهذا قال تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾، أي: تبلغ الجميع؛ ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾؛ ويدخل في ذلك ما إذا بلغ البعض.

وقالت رضي الله عنها أيضًا: «وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾» [النمل: ٤٠].

وتريد رضي الله عنها بذلك مَن زعم أنه يخبر بما يكون في غدٍ، يعني: من غير ما يُوحى إليه، وأما ما أوحي إليه فإنه يخبر عليه الصلاة والسلام بما يكون في غدٍ كثيرًا.

أما فيما لم يُوحَ إليه، فقد أعظم على الله تعالى الفِرْية؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، فإذا كان صلوات الله وسلامه عليه لا يعلم الغيب؛ فمَن دونه من باب أولى.

فمَن زَعَم أن أحدًا من الأولياء يعلم الغيب؛ فقد كفر؛ لأنه مكذِّب لقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

وفي هذا السياق: دليل على حُسن تعليم عائشة رضي الله عنها، فقد كانت تذكر الحُكم مقرونًا بالدليل، وهذا من العلم الرباني، الذي يربي فيه العالم من يعلِّمه، أي: أنه يفتح له باب الاستدلال بالكتاب والسُّنة.

ولهذا ينبغي للإنسان أن يكون حكمه مقرونًا بالدليل من الكتاب والسُّنة، أو من المعنى الذي تشهد الشريعة بصحته، وهو ما يعرف بالتعليل الصحيح.

وفي السياق الثاني قالت: «وَلَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم كَاتِمًا شَيْئًا مِمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ لَكَتَمَ هَذِهِ الآيَةَ» الشديدة: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب:٣٧]، يعني: اذكر هذا، والمراد به زيد بن حارثة رضي الله عنه، أنعم الله تعالى عليه بالإسلام، وأنعم الرسول صلوات الله وسلامه عليه بالعتق، أو يقال: إن نعمة العتق من الرسول مباشرة، ومن الله تعالى خلقًا وتقديرًا، وتكون النعمتان متفقتين.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾، يعني بذلك: زينب بنت جحش رضي الله عنها، ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾، هذه كلمات عظيمة جدًّا؛ فتُخْفي في نفسك ما سيُبْديه الله عزَّ وجلَّ، يعني: مهما أخفيت في نفسك، فإن الله تعالى يُظهره، وعلى هذا قال الشاعر[1]:

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ ... وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ

قال تعالى: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾. وصدق الله عزَّ وجلَّ، إن الله تعالى أحق أن يُخشى.

وإذا كانت هذه الكلمات العظيمة القوية بالنسبة للرسول عليه الصلاة والسلام، فما بالك بنا نحن؟!

---

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى، في معلَّقته؛ ينظر: شرح ديوان زهير لثعلب (ص:٣٢).

ولهذا يجب علينا أن نطهِّر السريرة؛ لئلا نُفْضَح يوم القيامة، حتى إذا قُدِّر أن الإنسان ستر الله عليه في الدنيا استدراجًا وامتحانًا، أو لطفًا وعفوًا، فإنه قد يكون ذلك في الآخرة.

ولهذا إياك أن تضمر في نفسك ما لا تحب أن يطلع الناس عليه، وهو مخالف لأمر الله عز وجل.

**والمقصود:** أن الرسول صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم لو أراد أن يكتم شيئًا مما أنزل عليه، لكتم هذه الآية؛ لأن في هذه الآية كلمات توبيخ عظيمة للرسول صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، ولها نظائر، لكنها أقل منها؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ﴾ [التحريم:١]، وقوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [التوبة:٤٣]، فإذا كان هذا خطاب الله تعالى لأشرف البشر عنده، فكيف بنا نحن؟

***

## باب في قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلامُ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»، وَفِي قَوْلِهِ: «رَأَيْتُ نُورًا».

١٧٨- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ».

١٧٨- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنَا أَبِي. (ح) وَحَدَّثَنِي حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ؛ كِلَاهُمَا عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: قُلْتُ لأَبِي ذَرٍّ: لَوْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم لَسَأَلْتُهُ؛ فَقَالَ: عَنْ أَيِّ شَيْءٍ كُنْتَ تَسْأَلُهُ؟! قَالَ: كُنْتُ أَسْأَلُهُ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ أَبُو ذَرٍّ: قَدْ سَأَلْتُ؛ فَقَالَ: «رَأَيْتُ نُورًا»[١].

---

[١] يعني: ولم أَرَهُ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم قال: «رَأَيْتُ نُورًا»، والمعنى: ما رأيته؛ لأنه لو كان رآه لقال: رأيته؛ لأنه عليه الصلاة والسلام لا يبخل بالعلم النافع المفيد أبدًا.

والله تعالى أعظم من أن تُدركه الأبصار، وأعظم من أن تقوم الأجسام الضعيفة -أجسامنا- لرؤيته، إذا كان الجبل -لما تجلَّى له ربه عزَّ وجلَّ- جعله دَكًّا، فلما رأى موسى عليه الصلاة والسلام ما رأى خَرَّ صَعِقًا، وما تحمل، فلما أفاق، قال: سبحانك! تبت إليك، وأنا أول المؤمنين.

**فالحاصل**: أنَّ الرَّبَّ عزَّ وجلَّ لا يمكن أن يُدْرَك، حتى القلب -مهما كان- لا يُمكن أن يُدْرِك شيئًا، ومهما قدَّرت من تقدير فإنك لن تبلغ شيئًا.

وأما قول ابن عباس رضي الله عنهما: رآه بفؤاده، فالرؤية بالفؤاد هي كناية عن العلم اليقيني، الذي لا يحتمل الشك.

**وهل قوله: «رَأَيْتُ نُورًا» يدل على أن الله تعالى يسمَّى بالنور؟**

**فالجواب:** الظاهر أنه صفة، وهو جلَّ وعلا نورٌ، ولكنه ليس كالأنوار المخلوقة.

***

## بـاب في قَوْله عَلَيْه السَّلامُ: «إنَّ اللهَ لا يَنَامُ» وَفِي قَوْلِه: «حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْكَشَفَهُ لأَحْرَقَ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ».

١٧٩- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ؛ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ؛ حِجَابُهُ النُّورُ -وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ-؛ لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ». وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: عَنِ الأَعْمَشِ؛ وَلَـمْ يَقُلْ: حَدَّثَنَا.

١٧٩- حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الأَعْمَشِ، بِهَذَا الإِسْنَادِ، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ؛ ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي مُعَاوِيَةَ، وَلَـمْ يَذْكُرْ: «مِنْ خَلْقِهِ». وَقَالَ: «حِجَابُهُ النُّورُ».

١٧٩- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْـمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ؛ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ: حَدَّثَنِي شُعْبَةُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم بِأَرْبَعٍ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَرْفَعُ الْقِسْطَ وَيَخْفِضُهُ، وَيُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ النَّهَارِ بِاللَّيْلِ وَعَمَلُ اللَّيْلِ بِالنَّهَارِ»[١].

---

[١] هذا -أيضًا- من صفات الله العظيمة.

قام النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم بخمس كلمات أو بأربع كلمات -وسيأتي بحث ذلك- قال: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ» هذه صفة انتفاء، أي: انتفاء صفة النوم عنه، وهي من الصفات التي يسمُّونها الصفات السلبية.

ومن المعلوم أن الصفات السلبية المَحْضَة ليس فيها مدح؛ لأن السلبَ المحضَ عدمٌ محضٌ، والعدمُ المحضُ ليس بشيء، فضلًا أن يكون كمالًا.

إِذَنْ: ما معنى الصفات السلبية؟ أي: الصفات المنفيَّة عن الله تعالى، ومعناها ثبوت كمال ضدها؛ مثلًا: تقول: فلان عدلٌ لا يظلم، يعني: ليس في عدله ظلم، وكلما حكم فهو عادل.

فمعنى: «لَا يَنَامُ» انتفاء صفة النوم عنه؛ لكمال حياته، وكمال قيُّوميَّته، فهو حيٌّ قيُّوم، فلكمال حياته لا ينام، ولهذا نرَى في النوم -للإنسان- فائدتين:

**الفائدة الأولى**: الراحة مما مضى، **والفائدة الثانية**: الاستجمام والنشاط لما يستقبل.

والرَّبُّ عزَّ وجلَّ لا يحتاج إلى ذلك؛ لأنه سبحانه وتعالى كامل القيُّوميَّة، وكامل الحياة، ولذلك قالوا: إن أهل الجنة لا ينامون؛ لكمال حياتهم؛ ولأن النوم يفوت عليهم النعيم الموجود في الجنة، يتلهون عنه بالأكل والشرب والاستمتاع بالحور، وغير ذلك؛ فلا ينامون.

ولا ينام سبحانه -أيضًا- لكمال قيُّوميَّته، ولو أنه نام سبحانه وتعالى فمَن يدبِّر الخلق؟ مَن يصرف شؤونهم؟.

ويذكر في خبر إسرائيلي أن موسى عليه الصلاة والسلام قال: يا رب، هل تنام؟ فأمره أن يأخذ زجاجتين، والزجاجة معروفة، ثم ألقى عليه النعاس، فلما نعس، ضربت إحداهما الأخرى، فتكسرت.

والإنسان إذا نام، لم يتمكن من رعاية أمره، فالرب عزَّ وجلَّ لكمال حياته وكمال قيُّوميَّته لا ينام.

**والخلاصة**: أن هذه الصفة المنفية -أو السلبية- تضمنت كمالًا في حياته، وفي قيُّوميَّته في تصريف عباده.

**وقوله صلى الله عليه وسلم -في الثانية-: «وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ»** لا ينبغي، يعني: أنه مستحيل أن ينام.

وليُعلم أن كلمة: (لَا يَنْبَغِي) في القرآن والسُّنَّة بمعنى: الشيء الممتنع، المستحيل.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم:٩١-٩٢]، يعني: أنه مستحيل غاية الاستحالة.

وقال تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ [يس:٤٠]، يعني: هذا مستحيل، حسب العادة التي أجراها الله عزَّ وجلَّ.

وفي هذا الحديث قال النبي عليه الصلاة والسلام: **«إِنَّ اللهَ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ»** يعني: مستحيل؛ لأن النوم صفة نقص.

**قال -في الثالثة-: «يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ»** القسط: العدل، يعني: أنه يحكم بالعدل، فيرفع أقوامًا، ويخفض آخرين؛ والقسط هو القسط، لكن الموزون هو الذي ينخفض أو يرتفع، وأما القسط -وهو العدل- فلا ينخفض، ولا يرتفع، لكنه عزَّ وجلَّ يخفض الموزون ويرفعه.

فمَن عمل عملًا يستحق الرفع رفعه؛ ومن عمل عملًا يستحق الخفض خفضه.

وقوله: «يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ» سبحان الله! يعني: لا يفوته شيء مما يريد الله عزَّ وجلَّ، فلا ينتهي الليل إلا وقد رُفع إليه عمل الليل، ولا ينتهي النهار إلا وقد رُفع إليه عمل النهار، ولا يتأخَّر من ذلك شيء أبدًا؛ وذلك لكمال سلطانه جلَّ وعلا.

أما نحن فيقع منا تأخير عمل اليوم إلى الغد، وعمل الغد إلى ما بعده.

وهو سبحانه يعلم هذا -وإن لم يُرفع إليه-؛ لأنه هو الذي خلقه، وقد قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤]؛ يعلم هذا، لكن لكمال سلطانه ترفع إليه الأعمال، **فإياك أن تُرفع صحيفتك إلى ربِّك سوداء، بل احرص على أن تُرفع بيضاء!**

وقوله: «حِجَابُهُ النُّورُ» يعني: أنه محتجِب عن الخلق بالنور، وهي حجب عظيمة من النور، لا يعلم قدرها إلا الله تعالى.

وقوله: «لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ» ومعلومٌ أنَّ بصرَهُ يدرك كل الخلق، فلو كشف هذا النور -الذي بينه وبين العباد- لاحترق العباد كلهم.

وفي رواية: «حِجَابُهُ النَّارُ» كأن الراوي فَهِم من قوله: «لَأَحْرَقَتْ» أنها نار، والصواب: «حِجَابُهُ النُّورُ»، والشك في قوله: «أو النَّارُ»، فلعله تطرَّق إلى الراوي وهَم من قوله: «لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ»، وصواب الرواية: «حِجَابُهُ النُّورُ».

**والسُّبُحات:** هي البَهَاء والعَظَمة التي لا يُقام لـها، وهذا هو الذي يجعل الإنسان لا يمكن أبدًا أن يتصوَّر كيفية صفة من صفات الله عزَّ وجلَّ.

فإذا كانت الحُجُب العظيمة -هذه وهي حجب ليست كالسموات والأرض؛ بل أوسع وأعظم من السموات والأرض- لو كشفها الله عزَّ وجلَّ لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، فسبحان الله العظيم! عَظَمة عَظِيمة! لا يدركها الإنسان، لا تفكيرًا، ولا تصويرًا، ولهذا قال جلَّ وعلا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، وقال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥].

وتحصَّل من ذلك أن الكلمات خمس، لكن بعض الرواة قال: إنها أربع، وعدَّ قوله: «وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ» مع قوله: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ»؛ لأنه جعل قوله: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ» تابعًا لها؛ لأن الصفة الأولى لانتفاء النوم، والصفة الثانية لاستحالة النوم، وكلها تتعلق بصفة واحدة، فعدُّوها واحدة.

ولكن عدها ثنتين أقرب إلى الصواب؛ لأنه ليس كل من انتفى عنه النوم، ينتفي عنه استحالة النوم، فنحن -إن شاء الله- في الجنة أنا وإياكم لا ننام، لكن هل يستحيل علينا النوم؟ لو شاء الله لَنِمْنَا، لكن الرب عزَّ وجلَّ لا يمكن أبدًا أن ينام، ولا يمكن أن يكون ممكنًا في حقِّه، ولهذا عَدُّها صفتين، أولى مِن ضَمِّ بعضها إلى بعض.

* * *

## باب إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الآخِرَةِ رَبَّهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

١٨٠- حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الجَهْضَمِيُّ، وَأَبُو غَسَّانَ المِسْمَعِيُّ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ؛ جَمِيعًا عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ -وَاللَّفْظُ لأَبِي غَسَّانَ؛ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الصَّمَدِ-؛ حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قَالَ: «**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ**»[١].

---

[١] قوله رحمه الله: «**باب إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الآخِرَةِ رَبَّهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**»؛ اعلم أن رؤية الله تعالى في الآخرة تكون في عَرَصات القيامة، وتكون بعد دخول الجنة:

أما بعد دخول الجنة فإنها تكون للمؤمنين فقط -الذين هم أهل الجنة-.

وأما في عَرَصات القيامة، فالناس -بالنسبة لرؤية الله عزَّ وجلَّ- في الموقف ثلاثة أقسام:

**القسم الأول**: المؤمنون، وهؤلاء يرون ربهم عزَّ وجلَّ في العَرَصات، وبعد دخول الجنة.

**القسم الثاني**: الكفار، وهؤلاء لا يرون الله؛ لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٥]. ولقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥].

والقسم الثالث من الناس: المنافقون، فهؤلاء يرون الله عزَّ وجلَّ، ثم يحتجب عنهم، فيكون ذلك أشد حسرة عليهم مما لو حُرموا رؤيته من البداية، وذلك أنهم كانوا يتظاهرون بالإسلام، فظاهرهم وعلانيتهم الإسلام فيمكَّنون من رؤية الله عزَّ وجلَّ في عَرَصات القيامة، ثم يُحجبون عن الله سبحانه وتعالى.

والمراد هنا -في هذا الحديث- رؤية المؤمنين لله عزَّ وجلَّ، وهذه ثابتة بالقرآن والسُّنة المتواترة، ولهذا صرَّح بعض أهل العلم رحمهم الله بكفر مَن أنكر رؤية الله تعالى، وقالوا: من أنكر رؤية الله تعالى في الآخرة؛ فهو كافر لأنه مكذِّب؛ لما تواترت به الأحاديث عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم تواترًا لفظيًّا، أو معنويًا بأصرح لفظ وأبينه، بحيث لا يحتمل المجاز بوجه من الوجوه.

وكذلك في القرآن آيات متعددة تدل على ثبوت رؤية الله عزَّ وجلَّ، فمن ذلك:

١- قول الله تبارك وتعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله، هكذا فسَّرها النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم.

ومن المعلوم أن أعلى درجة في تفسير القرآن -بعد تفسير القرآن بعضه ببعض- هو تفسير رسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم؛ لأنه أعلم الناس بمراد الله تبارك وتعالى.

٢- ومن ذلك: قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥]، فقد فسَّر كثير من العلماء رحمهم الله المزيدَ هنا، بأنه النظر إلى وجه الله تعالى؛ لأن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم فسَّر الزيادة في الآيات -التي سقناها-

بالنظر إلى وجه الله تعالى، وإن كانت الآية في سورة (ق) تعمُّ هذا وغيره؛ لأنه عزَّ وجلَّ قال: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ أي: مزيد على ما يشاءون، وفوق ما يتمنون.

٣- الآية الثالثة: قول الله تبارك وتعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، فقوله: ﴿نَّاضِرَةٌ﴾ بمعنى: حَسَنة، من النَّضَارة، وهي الحُسن، وقوله في الثانية (ناظرة) من النَّظَر، ولذلك عُدِّيَتْ بـ(إلى)؛ والوجوه الناضرة إذا عُدِّي نظرها بـ(إلى) تعيَّن أن يكون النظر بالعين؛ لأننا لا نعلم شيئًا يَرى في الوجه إلا العين، فتعين أن تكون ناظرة إلى الله عزَّ وجلَّ بالعين.

٤- الآية الرابعة: قول الله تبارك وتعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥]، يريد بذلك: الفُجَّار، قال الإمام الشافعي رحمه الله: وإذا حَجَب في حال الغضب، كان لا يَحْجُب الآخرين في حال الرضا، وهذه دلالة واضحة، وهي دلالة بالمفهوم.

٥- الآية الخامسة قوله تعالى -في نفس السورة- أعني: سورة المطففين ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين:٢٣]، فإن قوله: ﴿يَنظُرُونَ﴾ محذوفة المعمول، فتعُم كل ما ينظرون إليه من النعيم.

وإذا قارنَّا هذا بما في أول السورة: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥]، فنقول: من جملة ما ينظرون إليه: الله عزَّ وجلَّ.

٦- قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]؛ لأن نفي الإدراك دليل على أصل ثبوت الرؤية.

فهذه ست آيات في القرآن بعضها صريح، وبعضها دون ذلك.